

بيروت المنتفضة أيقونة الحداثة العربية

عاصمة الابتكار الأدبي والفني والتغيير الاجتماعي وفضاء التفكير الحر



لوحته: سليم معوض

معلوف يتحدث فيه عن اللحظة العالمية الراهنة انطلاقاً من كتابه الجديد "غرق الحضارات" ومقال عن ثقافة الاحتجاج اللبناني مقروناً بملف للصور ورسوم الحائز (الغرافيتي) للناقد والفنان التشكيلية ميموزا العراوي، وملف شعري تحت عنوان "الشعراء لم يغادروا بيروت" وهي طريقة في توجيه التحية للمدينة العربية الفائرة اليوم انتصاراً لعروبيتها ومدنيتها معاً، وقد انتهكتها بطرق شتى خلال العديدين الماضيين، خصوصاً مع تقاوم مظاهر إلحاق لبنان بالمشروع الثقافي الإيراني الثيوقراطي، وهو ما أخذ يسلب بيروت وجهها الحضائي العربي، ويحولها إلى موقع متقدم في عملية واسعة استهدفت الثقافة المدنية العربية التي اعتبرت بيروت أبرز عواصمها، وذلك من خلال مشروع ظلامي ترتباً برز المقاومة وتواري وراء اقتنعتها. ليس أدل على قيمة الشعر وابتكاره من ملاقة نبرته الفائرة لأصوات الشارع النائر بلغة جديدة، وقد ملأت ساحات بيروت وطرابلس وصيدا وصور وبيطبك وسائر المدن اللبنانية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وشق في غضبه سبلاً مبتكرة للتعبير عن رفضه القهر الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي ألحق بالناس. شاعرات هذا الملف وشعراؤه قدموا بدورهم من جهات لبنان الأربع.

وانتصرت على الاحتلال، بالأصالة عن نفسها وبالنيابة عن الرابطة العربية كلها ورغم الخذلان العربي، نهضت بيروت مجدداً. لم تترك بيروت لقدرها الماساوي، ولهيمنة الطبقة السياسية الفاسدة بالأمس القريب، ولكن ذلك حدث منذ زمن بعيد. أولاً عندما تغول وكلاء الشركات التجارية، وثانياً عندما صار حاضرها المدني الاجتماعي والثقافي مشروعاً فيوقراطي خارجي عسكر جزءاً من الاجتماع اللبناني وجعله قطعياً ياتمر بامر الخارج. وثالثاً عندما تحالفت الطرفان الخارجي والداخلي وهيمنة على الحياة اللبنانية بأسرها. وأوصلا الشعب اللبناني إلى اللحظة الفارقة التي انعدم معها الخلاص في ظل الصيغة الطاغية، وبسات من المستحيل على الناس الجلوس في البيوت فخرجوا إلى الشوارع ليتخلصوا من كامل الطبقة السياسية الحاكمة وعلى رأسها وكلاء الخارج.

ولقد رأى العرب والعالم كله درجة التحضر الاجتماعي التي عثرت عنها تحركات اللبنانيين في الشارع، بل إن مظاهر الاحتجاج عبرت عن صلابته الموقف والنزوع إلى الابتكار معاً.

في هذا العدد حوار مع ابن بيروت الكاتب والروائي الفرنكوفوني أمين

الحلم والحرية. وقد قرنت بيروت هذه الخصال الحميدة باستقبال المقاومة الفلسطينية عندما لم تعد هناك جغرافيا تستقبل الحلم الفلسطيني بالعودة، وأسست المشاريع الثقافية الأهم التي نظرت لحركات التجديد الفكري على جانب الأدبي، فربطت الكتابة والتعبير والأدب والفني بالحركات السياسية والتطلعات المجتمعية بطريقة مبتكرة وخلاقة.

على مدار نصف قرن من الصراع الثقافي بين القديم والجديد انتصرت بيروت من اللحظة الأولى للجديد، فاستقطبت ندواتها السجال الجمالي والفكري في الشعر، وقدمت منابرها للشعراء وقصائدهم وقضاياهم، وأفردت صحافتها الصفحات بمنتهى الحرية للسجال في قضايا الشعر الحديث وتطلعات الشعراء، وخاضت بشجاعة معارك حرية التعبير في مواجهة آلة القمع العربية المتغولة. كيف لنا أن ننسى أن الكتاب الذي يمنع في أي بلد عربي لا يجد ناشراً له إلا في بيروت، والأديب الذي يضطهد في وطنه لا يجد له ماوى ولا نصيراً إلا في بيروت!

لقد تفوقت بيروت على كل العواصم العربية في احتضان المجددين ورعاية الجديد والدفاع عن حق الشعراء في

تطلعاتها الحداثية، ولكنها، باتت وبنوع من القدر الأعمى، ضحية لانقلابات عسكرية متتالية حملت دباباتها إلى قصور الشعب حكما عسكريين جهلة وقساة أعملوا في مجتمعاتها آلة القمع فصادروا الحريات العامة، وفرضوا على الناس ثقافة القطيع. ازدهرت الرقابة وطالت الكلمة الحرة والكتاب الأحرار، وحلت محلها الصحف الرسمية ذات اللون الواحد، وقد طال هذا العمل الانقلابي كلاً من مصر وسوريا والعراق وهي أبرز بلدان المشرق العربي، وكانت حتى مطلع الخمسينيات مازال تشكل مع لبنان العواصم المنتجة للثقافة الحديثة في المنطقة.

على هذه الخلفية الكارثية، لعب لبنان دوره البارز والكريم في حياة الهامش الثقافي العربي المتصارع مع شتى أنواع السطوة الدكتاتورية العسكرية والعشائرية، فاحتفى اللبنانيون بأبرز شعراء العربية المجددين من حققوا خلال عهدي الخمسينيات والستينيات مكانة شعرية، ومن شرفة بيروت، لمعوا كنجوم في سماء الثقافة العربية، فكان نزار قباني ويوسف الخال وأدونيس وفؤاد رفقة وعبدالباسط الصوفي وعلي الجندي ومحمد الماغوط (من سوريا) وتوفيق صايغ وجبرا إبراهيم جبرا

لقد تفوقت بيروت على كل العواصم العربية في احتضان المجددين ورعاية الجديد والدفاع عن حق الشعراء في

لطلما كانت بيروت المحبوبة من جميع العرب ولها في وجدانهم المحل الأرفع بين مدن المغامرة الأدبية والفكرية يتطلع إليها من مدينته العربية كل شاعر وروائي وفنان، فهي عنده مدينة الحرية المدللة بين المدن.

نوري الجراح
شاعر سوري

لطلما كانت بيروت مدينة عربية ثائرة على السائد، ولها قصب السبق في استقبال أحدث الأفكار والمواضع الأدبية، وكل ما تجود به الثقافات الغربية من حركات وظواهر جديدة لا سيما في فرنسا، إن عبر الترجمة والنشر، أو عبر التواصل المباشر بفعل ارتباط جزء أساسي من ثقافة لبنان بالحركة الفرنكوفونية، لا بل إن عدداً من الشعراء والأدباء اللامعين في فرنسا كجورج شحادة وصلح ستينية وفينوس خوري غاتا هم من أصول لبنانية. بينما يمكن النظر إلى جبران خليل جبران وأمين الريحاني وهما كاتبان عبقريان يتمتعان بخلفية شرقية بامتياز، بوصفهما كاتبين ملهمين في الثقافة العربية، بل إن جبران تحول إلى أيقونة ثقافية في العالم على إثر صدور كتابه "النبى" الذي طبع مئات المرات بالإنكليزية، وترجم إلى عشرات اللغات.

منذ أواسط الخمسينيات كانت بيروت قد بدأت تتحول إلى عاصمة للشعر الجديد، وملجأ للشعراء العرب المحدثين الباحثين عن الحرية في الكتابة والحياة. وقد شجع على ذلك وجود صحافة أدبية مزدهرة تمثلت خصوصاً في مجلتي "الأدب" لسهيل إدريس و"شعر" ليوسف الخال. وهما المجلتان اللتان احتضنا بكفاءة لآفة حركات التجديد الشعري، وشكلتا تيارين متنافسين تفاعلت من خلالهما أدوار الجديد وتكاملت خلال عهدي الخمسينيات والستينيات.

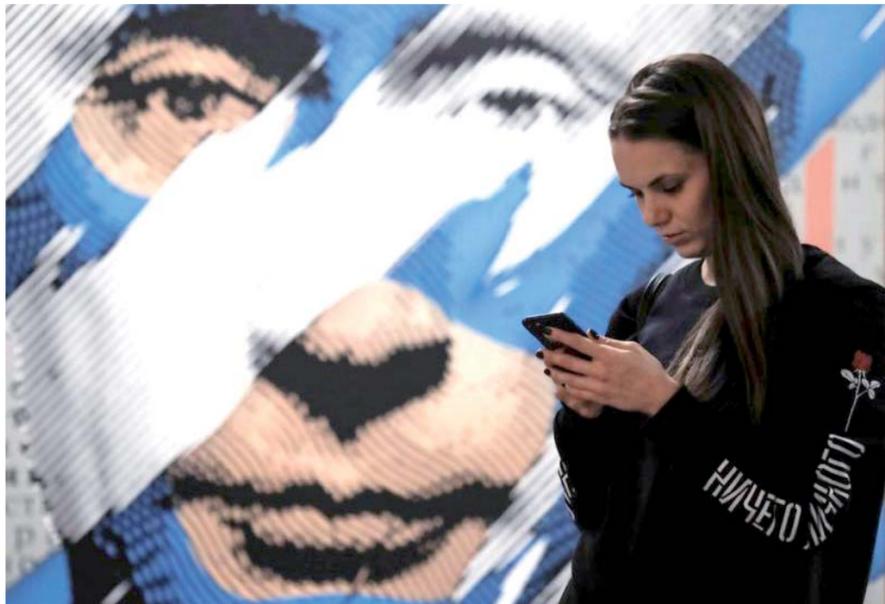
شعراء عرب مرموقون هجروا بلادهم، ولانوا بلبنان، أو هربوا فصادنهم إليها مع المسافرين، أو هم زاروها ضمن حصة الوقت، أو وصلوا إليها خلسة طلباً لهواء الحرية، تاركين وراءهم عواصم كانت عريقة في علاقتها بالثقافة المدنية، ومتفائلة في

ثقافة الفيسبوك.. من مواجهة التضليل إلى تكفير التنوير

من معسكر الأنظمة إلى معسكر قوى التنوير كل ذلك بتحالف غير معلن بين الأنظمة الفاسدة والخلايا النائمة من الإرهابيين.

وبثقافة التكفير هذه تعود الأنظمة القديمة بلبوس جديد مستغلة القوى الظلامية لتهديد المثقفين، وبالتالي البحث عن نقل "الخوف"

بمفردات تنويرية ضد قوى الوهابية والظلامية إلى خطاب تكفيري يمارس عملية تجييش العامة الفوعة ضد المثقفين التنويريين.



الموبايل جهاز غير محايد

حد السواء. لقد عزى الخطاب الفيسبوكي المضاد في سنواته الأولى كثيرا من وجوه الأنظمة الفاسدة التي مسها الربيع العربي قبل أن يصادر الإخوان المسلمون الثورات وأفسدوا مراميتها.

ولعل المعركة الأولى التي خاضتها جيوش الفيسبوك التنويريون، وعلى الرغم من انهيار حلم التغيير كما كانت تحلم به هذه الجيوش التنويرية، إلا أن الأنظمة وجدت نفسها مجبرة على التراجع قليلاً ولو مرحلياً فاطلقت الوعود بتغييرات جوهرية في مؤسسات الدولة وسنن قوانين جديدة متصلة بالشفافية في الحكامة، ومتصلة أيضاً بكيفية تدبير أمور المجتمع كالمدينة الأسرية وحقوق الطفولة وفتح مجال الإعلام والسماح بتأسيس أحزاب جديدة، والسماح للأقليات بالحفاظ على لغتهم وثقافتهم كما هو الشأن بدسترة اللغة الأمازيغية في الجزائر لتصبح لغة وطنية ورسمية إلى جانب اللغة العربية.

وفي مقابل تراجع الأنظمة سارعت السلفية التكفيرية إلى تشكيل جيش جديد من الفيسبوكيين الجدد، منصات فيسبوك بخطاب تكفيري تارة وتخويني تارة أخرى أو تهويدي في حالة نائمة، كل ذلك للرد على الأصوات التنويرية ووضع اليد على مستقبل البلد. وفي فترة وجيزة تحول الخطاب في الفيسبوك من خطاب

في دول العالم الثالث العربية منها والمغربية.

لم يعد خطاب الوطنية الزائد في الحماس والفروسية السياسية ليقنع الجيل الجديد، فالناس لا تتعشى بالعلم الوطني ولا تشرب الأناشيد الوطنية ولا تتغنى بالآيات القرآنية، الجيل الجديد الذي وجد بين يديه الفيسبوك ووسائل التواصل الاجتماعي الأخرى لا يريد أن يعيش كما عاش الأباء تحت النل المغلف في انتصار كاذب.

تحول الخطاب في الفيسبوك من خطاب بمفردات تنويرية ضد قوى الوهابية والظلامية إلى خطاب تكفيري يمارس عملية تجييش العامة الفوعة ضد المثقفين التنويريين

كان جلوس مئات الآلاف من الشبان والشابات أمام أجهزة الكمبيوتر يثير قلق الأنظمة التي لم تفهم أساليب هذه المعركة ولا نوعية هذا السلاح الذي هو غنيمة تكنولوجيا الغرب الكافر، الغرب المستعمر، كما ظلت تقدمه لنا الأنظمة العسكرية أو الدينية الثيوقراطية على

أمين الزاوي
روائي وأكاديمي جزائري

شكل الفيسبوك منذ وصوله بين أيدي الجيل الجديد منصة بأصوات شابة متطلعة لطلما أخافت الأنظمة الاستبدادية العسكرية والثيوقراطية الدينية وأزقتها، تجندت القوى التنويرية في معركة إعلامية وثقافية وسيكولوجية فريدة من نوعها مستثمرة هذا الفضاء الأزرق، فخلال العشريتين الماضية من هذا القرن وجدت الأصوات النقدية في هذا الإعلام سندا للمعركة ضد مؤسسات مريضة واقتصادات هشّة قائمة على الرشوة والفساد والفوضى التي في غالبيتها تعود إلى سنوات الاستقلالات الوطنية.

لقد استطاعت منصات الفيسبوك أن تنقل الخوف من معسكر المواطنين البسطاء الرعايا، إلى معسكر الحاكمين بامر العسكر أو بامر الله.

لقد جاء خطاب منصات الفيسبوك بكونه جديدة، منذ بداية تسويجه في العالم العربي والمغربي، كودات لم تستطع الأنظمة فك لغزها لأنها ببساطة كانت من اجتهاد جبل جديد، يريد الحياة مؤسسة على قيم أخرى. قيم حقوق الإنسان والعيش الكريم، وهي القيم التي ظلت مغيبة